International Journal of Aquatic Science
ISSN: 2008-8019
Vol 13, Issue 01, 2022

Dialogue Requirement in the Literature

AL-Manfaluti MUSTAFA

tuka mahdi lazem Collage of education, wasit university, Iraq

tqaamahde1999@gmail.com

Abstract The research aims to study the dialogic imperative in the works of Mustafa Lutfi al-Manfaluti (one of the pioneers of modern Arabic literature), as it included the study of the concept of cooperation and its four rules, and their application in the works of al-Manfaluti, as well as the study of other principles that came after Grace, to amend and develop the rules and add to them and apply those principles to the works of Al-Manfalouti.

Keywords: dialogue requirement, literature, al-manfaluti

الاستلزام الحواري

إنَّ نظريـــة الاســـتلزام الحـــواري مـــن النظريـــات المهمّـــة التـــي ســـاهمت فـــي تطـــوّر الـــدرس التـــداولي الحـــديث, وترجـــع نشـــأتها إلـــى المحاضـــرات التـــي ألقاهـــا (بـــول جـــرايس)(H.p Grice) فـــي جامعـــة هارفـــاد , وقـــد طُبعـــت هـــذه المحاضـــرات ســـنة 1957م فـــي بحـــث لـــه بعنوان (المنطق والحوار) [نحلة ,2002, و عكاشة , 2012, 86]

إذ رأى "إنّ جمـــل اللغـــات الطبيعيـــة , يمكـــن فـــي بعـــض المقامـــات أن تـــدلّ علـــى معنـــى غيـــر المعنـــى الـــذي يـــوحي بـــه محتواهـــا القضـــوي " [المتوكّـــل , 2010 , 26, والصـــحراوي , 2005, 33]

ويقصـــد جـــرايس بالاســـتلزام الحـــواري "إنّ النـــاس فـــي حـــواراتهم قـــد يقولـــون مـــا يقصـــدون, وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون , وقد يقصدون عكس ما يقولون " [نحلة , 33]

أي ايضـــاح الاخـــتلاف بـــين مـــا تعنيـــه الكلمـــات والعبـــارات بقيمتهـــا اللفظيـــة وبـــين مـــا يريـــد المتكلم أن يبلغه السامع بشكل غير مباشر بحسب ظروف ومؤثرات المقام .

وقسّم جرايس الاستلزام على نوعين

- **الأوّل اســـتلزام عرفـــي قـــائم علـــى "مـــا تعـــارف عليـــه اصـــحاب اللغـــة مـــن اســـتلزام بعـــض الألفـــاظ دلالات بعينهـــا لا تنفـــك عنهـــا مهمـــا اختلفـــت الســـياقات وتغيـــرت التراكيـــب " [نحلـــة , 33 , وعكاشـــة , 88-90, والصـــحراوي , 35]مثـــل لكـــن فهـــي فـــي كـــل السياقات لا يتغير معناها فهي دائماً يكون ما بعدها مخالفًا لما يتوقّعه السامع .**
- **الثـــاني : اســـتلزام حـــواري وهـــو " متغيّـــر دائمًـــا بتغيـــر الســـياقات التـــي يـــرد فيهـــا " [نحلة , 33, عكاشة , 88-90,الصحراوي , 90]**

International Journal of Aquatic Science
ISSN: 2008-8019
Vol 13, Issue 01, 2022

وعدّ الحوار " الحقل الفعّال والمباشر للتفاعل اللغوي ,ويكشف عن البعد الاستعمالي في تحقيق قصد المتحاورين "[عكاشة , 90]

ورأى جرايس أنّ التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام هو مبدأ التعاون , ويُشكّل هذا المبدأ وقواعده المتفرّعة عنه " العمود الفقري لنظرية جرايس الاستلزامية (1975- 1978) " [ادواري ,2011, 106]

وجعل جرايس للاستلزام الحواري خواصًّا تنماز عن غيرها من أنواع الاستلزام هي: [المتوكل , 38-39,عكاشة ,92-093]

1 – إنّ الاستلزام الحواري ممكن إلغاؤه , وذلك بإضافة قول بعده كقولك لقائل : لم أقرأ كلَّ كتبك, فقد يستلزم أنّك قرأت بعضها , أمّا إذا قلت بعدها : الحقّ أنّي لم أقرأ أيّ كتاب منها, هنا ألغيت الاستلزام , أي بإمكانك أن تنكرمايستلزمه كلامك .

2-الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي , أي أنّه متّصل بالمعنى الدلالي للقول لا بالصيغة اللغوية التي قيل فيها ,فلا يتغيّر مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها كما في الحوار الآتي بين أختين :

1- لا أريدكِ أن تتسللّي إلى غرفتي على هذا النحو .

2- انا لا اتسلل , ولكن أمشي على اطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء .

فعلى الرغم من تغيّر الصياغة , إلّا أنّ ما يستلزمه القول في الجملتين واحد هو عدم الرضا عن هذا السلوك ما زال قائماً.

3 – الاستلزام متغيّر , أي أنّ التعبير الواحد يمكن أن يؤدّي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة ,فقولك لطفل : كم عمرك؟ فأنت تستفهم عن عمره , أمّا إذا قلت القول نفسه لصبي , فيتغيّر المعنى فلا تريد الاستفهام هنا بل تريد معاتبته ومؤآخذته على سلوك لم ترضاه له .

4 – الاستلزام يمكن تقديره , وذلك عندما يلجأ المتكلّم إلى التعبير الاستعاري أو الكنائي أو غير ذلك كقولك : زيدٌ أسد , فأنت هنا لاتريد المعنى الحرفي بل تريد أن تصفه بالقوة والشجاعة .

ويمثّل مبدأ التعاون عند جرايس الحجر الأساس لمن جاء بعده من العلماء الغربيين , الذين طوّروا النظرية واستكملوا جوانب النقص فيها واضافوا إليها , كما سنرى ذلك في المبادئ التي سندرسها في هذا الفصل .

ونجد مثيل هذه النظرية في التراث اللغوي العربي عند البلاغيين والنحويين وعلماء أصول الفقه .

وقدّم الدكتور أحمد المتوكّل دراسته في هذا الجانب محاولاً استكشاف الوصف العربي القديم لهذه الظاهرة معتمدا على ماقدّمه السكاكي في مفتاحه, وذلك عن طريق ملاحظته لتحليله الذي يضبط علاقة المعنى الصريح بالمعنى المستلزم [نحلة ,40 , والمتوكّل ,1984, 21-29]

مبدأ التعاون

وهو المبدأ التداولي الأوّل للتخاطب , ذكره جرايس في مقالته الشهيرة (المنطق والخطاب) ويقصد به "المبدأ الذي يرتكز عليه المرسل للتعبير عن قصده, مع ضمانه قدرة المرسل إليه على تأويله وفهمه " [الشهري, 2004 ,96]

وصاغه على النحو الآتي "ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه " [عبد الرحمن , 1998, 238]

ويُفهم من هذا المبدأ وجوب تعاون طرفي الخطاب(المتكلّم والمخاطَب) على تحقيق الهدف المروم من عملية التواصل , وقد يكون هذا الهدف محدّدًا قبل دخولهما في المحادثة , أو يحصل تحديده أثناء المحادثة[النجار , 2013 , 81].

وفرّع جرايس من مبدئه هذا أربعة أقسام هي [نحلة ,34,عبد الرحمن , 238 , خليفة , 2013, 29-30 , الصحراوي , 33-34, وموشلار , وترجمة دغفوس والشيباني , 20003, 55-56 , وختام , 1437, 101 -102].

1- قاعدة الكم: تشمل قاعدتين :

- لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته.
- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب .

2_ قاعدة الكيف :وتتمثّل بـ:

- لا تقل ما تعلم كذبه .
- لا تقل ما ليس عليه دليل أو حجّة عليه

3- قاعدة المناسبة : وتنصّ على "اجعل كلامك ذا علاقة مناسبة بالموضوع " [نحلة , 34]

أي مراعاة علاقة المقال بالمقام فيجب أن يكون مناسبًا وملائمًا.

International Journal of Aquatic Science
ISSN: 2008-8019
Vol 13, Issue 01, 2022

4- قاعدة الطريقة : وتنصّ على :

- الاحتراز من الالتباس.
- الاحتراز من الإجمال والغموض
- التكلّم بايجاز
- ترتيب الكلام وتنظيمه .

فإذا تحققت مبادئ الحوار هذه في الكلام , ولم يحدث أي اختراق لقاعدة من القواعد؛ لم يتولّد استلزامًا حواريًا بل يأتي الكلام مباشرًا صحيحًا (استلزام نموذجي), ويمكن توضيح هذه القواعد بالأمثلة في مؤلّفات المنفلوطي :

قوله :**"الإحسانُ شيءٌ جميلٌ, وأجملُ منهُ أنْ يحلَّ محلَّهُ ويصيب موضعَهُ"** [المنفلوطي , 2002, 389/1]

وقوله :**"قال : أليس لك سيّدٌ يحميك ويرعاك ؟ قال : لا!"**[المنفلوطي , 1986, 29]

وقوله :**"اتعتقد يا سيدي أنني أحبُّ ولدك ؟ قال :"نعم" قلتُ :حبًّا هو منتهى ما تستطيع امرأة أنْ تحتمل قال: نعم قلت : وأنّ هذا الحبّ هو كلّ آمالي وسعادتي وما أملك في الحياة ؟ قال نعم يا بُنيتي"**[المنفلوطي , 2012 , 123]

وقوله:**"فالتفتت إليه روكسان , وقالت له :إنّي أكِلُ إليك أمره يا سيرانو , فعدني ألّا يهدّد حياته شيء! ,قال :ساجنهد إن شاء الله تعالى ,قالت : وعدني أن يكون حذرًا متيقّظًا . قال :سأحاول ذلك."**[المنفلوطي , 1986, 98]

في هذه الأقوال تحققت مبادئ الحوار كلّها , فقد جاء الكلام مختصرًا من دون زيادة أو نقصان , وكان صادقًا , وواضحًا ليس فيه غموض ولا لبس , وجاء مناسبًا للمقام .

أمّا إذا اخترق مبدءٌ واحدٌ من تلك المبادئ ؛ فسيتولّد لدينا استلزامًا حواريًا وذلك

كقوله :**"قالت : وما الذي طرأ عليه؟ قال : طرأ عليه الموتُ, فحال بينه وبين ما يريد ! قالت : وهل تعلم كيف مات ؟ قال: نعم أنا أعلم الناس بذلك ,لأنّه لم يكن حاضرًا معه في تلك الساعة وفي ذلك الموقف سواي , فارتعدت ونظرت إليه** مدهوشة **وقالت له :ألم يمت قتيلًا بيد أعدائه ؟ قال :لا , بل بيد أصدق أصدقائه!" [المنفلوطي ,2012,** 70]

فهنا حدث اختراق لمبادئ الحوار في أجوبة المخاطب , فكل إجابة تمثل استلزامًا حواريًا ؛لخرقها مبدأ (الكم) ولم يوجز في الإجابة فكان بامكانه أن يجيب على السؤال الأوّل بقوله :الموت , دون زيادة قوله :طرأ عليه ....., وعلى الثاني بـ(نعم) فقط وعلى الثالث بـ(لا) , أو أنا الذي قتلته ؛ وذلك لقصد الإيحاء لزوجة أبيه أنّه عالم بنواياها وحقيقتها , وليبيّن لها أنّها السبب في ذلك , وليؤكّد لها أنّه هو الذي قام بإفشال خطّتها وبعثرة أحلامها في الحصول على تاج الملك , وليزيد من حسرتها عليه .

وقولــه :"قــال ومــن هــو ذلــك العظــيم الــذي دبّــر لــه هــذه المكيــدة ؟ قــال : ذلــك ســرّ المهنــة لا استطيع أن أبوح به." [المنفلوطي , 1986, 25]

نجــد هنــا اســتلزامًا , لخــرق المــتكلّم احــدى مبــادئ الحــوار ؛لكــون اجابتــه غامضــة ؛ لقصــد الايحاء للمخاطب بخطر ذلك على حياته لو اعترف له باسم ذلك الشخص .

وقولــه :**"وقــال لــه بصــوت مُتهــدّجٍ مُختنــقٍ :مــا الــذي جــاء بــك إلــى هنــا؟, ومــن أنبــأك أنّــي فــي هــذا المكــان؟ قــال لــه وأنــت مــا الــذي جــاء بــك إلــى هنــا يــا أبــتِ ؟ ومــاذا تريــد أن تفعــل؟ إنّنــي أسألك عن مثلِ ما تسألني عنه!" [المنفلوطي , 2012, 47 -48]**

فــالحوار هنــا بــين الأب (برانكــومير) وابنــه (قســطنطين) والاســتلزام هنــا موجــود لخرقــه احــدى مبــادئ الحــوار فــالجواب لــم يكــن مناســبًا؛ إذ أجــاب عليــه بطرحــه الســؤال نفســه الــذي ســأله أبوه إياه ؛ بقصد الإيحاء بأنّه عالم بما يريد أبوه أن يفعله وما الذي جاء به إلى هنا .

وقولــه :**"عرفــتُ أنّ الأمّــةَ المصــريةَ فــي موقــفٍ مــن أحــرجِ مواقفِهــا , ومســلكٍ مــن أضــلِّ مســالكِها, وأنّهــا بــين ماضــغيِّ الأســد وفــوق روقِ الظبْــي ,وأنّ حــوادثَ الــدهرِ وعاديــاتِ الأيــامِ قــد ملكــت عليهــا ســبيلها والتفّــت حولهــا التفــاف الحيّــةِ بــالعُنُقِ وأحاطــت بهــا إحاطــة الجامعــة باليد والقيدِ بالرِجْلِ"**[المنفلوطي , 2002, 1/111-112]

نجــد فــي هــذا الــنص خرقًــا لمبــادئ الحــوار (الطريقــة,والكم) ؛لــم يــأت بالقــدر المطلــوب فقــط بــل زاد علــى الكــلام فبإمكانــه أن يقــول : عرفــت أنّ الأمّــة المصــرية بخطــر عظــيم , ولــم يــوجز بكلامــه, وخــرق قاعــدة الكيــف أيضًــا بقولــه (أنّهــا بــين ماضــغيَّ الأســد ...) فــالكلام لــيس حقيقــةً بــل اســتعارة, كنايــةً عــن الخطــر المحــدّق بهــا مــن أولئــك الــذين يتولــون زمــام أمورهــا (قادتهــا ورؤسائها).

وقولــه :**" فســألتُها : "مــا شــأنك يــا ســيّدتي وممّــن تبكــين ؟!" قالــت :"لا تحــدّثْ نفســكَ بريبــةٍ ولا تــذهب بــك الظنــونُ مــذاهبها , فــواللهِ مــا جئــتُ إليــك تحــت حجــابِ الليــلِ إلّا وانــت أوثــق النــاس عنــدي , وأرفعهــم فــي عينــي , ولــولا شــدّةٌ أقلقــت مضــجعي وفرقــت مــا بــين جفنــيّ والكــرى مــا خضــت ســواد الليــل فــي مثــل هــذه الســاعة ولا حملــت فــي ســبيلي إليــك مــا حملــت " [المنفلوطي , 2002, 1/167]**

حــدث الاســتلزام الحــواري فــي هــذا الــنصّ لخرقهــا مبــادئ الاســتلزام , لــم تــوجز فــي كلامهــا , ولــم يكــن مناســبًا للســؤال , فســألها عــن شــأنها وســبب بكائهــا , فبــدأت كلامهــا بأســلوب الطلــب (النهــي) غيــر المباشــر الخــارج لمعنــى التوضــيح , واســتعملت أســاليب التأكيــد لتقويــة الفعــل الإنجازي (القسم ,وأسلوب القصر(ما-إلا) .

وقولــه:**" ســألني ســائل : "مــاذا يســتفيد الإنســان مــن بخلــه حتّــى علــى نفســه ؟ وأيُّ غــرضٍ يرمــي إليــه مــن ذلــك ؟" فأجبتــه بهــذا الجــواب :البخــلُ إحــدى الملكــات النفســية , والملكــة صــفة راســخة فــي الــنفس تصــدر عنهــا آثارهــا عفــوًا بــدون (كــذا)* رويّــة ولا اختيــار , فكمــا لا يســأل المســرف عــن ســبب إســرافه والغاضــب عــن غايتــه مــن غضــبه , والحاســد عــن غرضــه مــن حســده , كــذلك لا يُســال البخيــل عمّــا يســتفيده مــن بخلــه وحرصــه , فكثيــرًا مــا تعــرّض لأربــاب هــذه الملكــات عــوارضُ تنــزع بهــم إلــى التخلــي عنهــا حينًــا ,.."** [المنفلــوطي, 2002, 1/190]

في هذا النصّ لجأ المنفلوطي إلى أسلوب الحوار, ممّا يعطي للنصّ فاعلية أكثر ,والاستلزام الواقع هنا في الجواب في قوله (البخل إحدى ملكات..) بسبب الإطالة في الجواب وعدم الإيجاز فكان بإمكانه الجواب بقوله(البخل ملكة صفة راسخة تصدر عنها آثارها عفوًا), وأدلى بحجة هي تشبيه البخيل بالغاضب والمسرف وما يصدر عنهما من غضب وإسراف من دون غاية كذلك البخيل عندما يبخل لأسباب عرضت إليه في حياته وعرّفها في البداية بكونها صفة ,أي متغيّرة فالصفات لا تبقى ثابتة بل تتغيّر.

مبادئ الحوار الأخرى التي جاءت بعد جرايس

على الرغم من أنَّ مبادئ التعاون التخاطبي قد فتحت بابًا واسعًا في تطوّر الدرس اللساني التداولي , وتوسيع الدراسات المرتبطة بموضوع التواصل الإنساني , فقد وُجهت إليه اعتراضات وانتقادات كثيرة أهمّها :هو إنّ مبدأ التعاون والقواعد المتفرّعة منه لا يضبط إلّا الجانب التبليغي من التخاطب , ولم يُكِنّ اهتمامًا للجانب التبليغي [عبد الرحمن, 239]

وقد ذكر الدكتور طه عبد الرحمن أنَّ جرايس أشار إلى هذا الجانب في عبارته "هناك أنواع شتّى لقواعد أخرى جمالية , واجتماعية , واخلاقية من قبيل (لتكن مؤدبًا) التي يتبعها عادةً المتخاطبون في أحاديثهم والتي قد تولد معاني غير متعارف عليها" [عبد الرحمن , 1998, 239]

لذلك شكّلت تلك الانتقادات نقطة انطلاق الباحثين لتعديل وتطوير هذه القواعد والإضافة عليها .

أوّلًا: مبدأ التأدّب :

هو المبدا التداولي الثاني الذي صرّحت به (روبين لاكوف(R0bin lakoff) في مقالتها الشهيرة (منطق التأدّب) [عبد الرحمن, 1998, ادواري , 2011 , 118, الشهري ,2004, 97]

وصاغته على النحو الآتي "لتكن مؤدبًا " ويوجب هذا المبدأ أن يلتزم المتكلّم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام ,من ضوابط التهذيب ما لا يقل عمّا يلتزمان به من ضوابط التبليغ [عبد الرحمن,1998, 240, ادواري , 2011 , 118]

وقد فرّعت (لاكوف) مبدأ التأدّب على ثلاث قواعد :

1- قاعدة التعفف :"لا تفرض نفسك على المخاطب " [عبد الرحمن , 1998 , 241]

أي تجعل له حرية الاختيار متجنّبًا استعمال الأساليب المباشرة في الطلب مثلًا ,ولا يتدخّل في شؤونه الخاصّة إلّا بالاستئذان قبل الكلام والاعتذار بعده, أي ان يكون المتكلّم حريصًا على حفظ المسافة بينه وبين المخاطب [1]

(1) ينظر :السان والميزان :241 و الاستلزام الحواري في التداول اللساني 118.

ونجـد المنفلـوطي قـد التـزم بتلـك القاعـدة كقولـه **:"هـل تـأذن لـي يـا سـيدي أن أسـألك مـن أنـت؟ وما مقامك وحدك في هذا المكان "** [المنفلوطي ,2012, 11]

فـالحوار هنـا قـائم بـين المنفلـوطي وشـاب سـاكن فـي جـواره فنجـد هنـا حـرص المنفلـوطي علـى أن تكـون هنـاك مسـافة بينـه وبـين المخاطـب بـدليل مناداتـه بـ(يا سـيدي) أي تكلّـم معـه بطريقـة رسـمية , وأيضًـا طلـب الأذن منـه قبـل أن يتـدخّل بشـؤونه وأحوالـه الخاصّـة, ليسـتطيع مساعدته .

وقولـه **"وعنـدي أنَّ مـن يُخطـئ فـي تقـدير قيمتِـه مسـتعليًا خيـرٌ ممّـن يخطـئ فـي تقـديرها متـدليًا, فـإنَّ الرجُـلَ إذا صـغرُت نفسـهُ فـي عـين نفسـه يـأبى لهـا مـن أعمالـه وأطـواره إلّا مـا يشاكل منزلتها عنده "** [المنفلوطي , 2002, 1/ 433]

يتبـيّن هنـا مـن أسـاليب المنفلـوطي وميزاتـه ,أنّـه لا يفـرض رأيـه علـى الآخـرين وذلـك باسـتعماله لفظـة (وعنـدي) أي رأيـه الخـاصّ بـه , وباسـتطاعة المتلقّـي قبولـه أو رفضـه والتمسّـك برأيـه المضـاد لـه , وهنـا يـرى أن الشـخص الـذي يخطـئ فـي تقيـيم نفسـه مسـتعليًا أفضـل مـن الـذي يخطئ في تقديرها متدليًا , ولا يقصد هنا التكبّر بل علو الهمّة .

وقولـه **:"قـال لـي بعـضُ النـاسِ :إنّ قومًـا يُغرِقـونَ فـي مـدحِك , فهـلّا زجـرتهم! فقلـتُ لـهُ :إنّ آخـرينَ قـد أغرقـوا فـي ذمّـي ,فلـم أصـنع شـيئًا ,فـدع الأكاذيـب يقـرعُ بعضُـها بعضًـا ,فربّمـا اسـتطارت مـن تلـك المعركـةِ شـرارةٌ تضـيءُ للنـاسِ مكـانِ جـوهرة الحقيقـة المُذالـة تحـت الأقدام فليتقطونها"** [المنفلوطي , 2002 ,273/2]

نجـد هنـا كلامـه مطابقًـا لقاعـدة (التعفـف) فهـو لـم يفـرض نفسـه علـى الآخـرين ولـم يتـدخّل فـي حكمهم عليه .

وقولـه: **" قـال :لـه" مولر":لقـد أراد الله بـي خيـرًا إذ أرسـلك إلـيّ فـي هـذا اليـوم, فقـد كنـتُ لا أجـدُ لـي فـي هـذه الوحـدة مؤنسًـا ولا علـى هـذه المائـدة رفيقًـا فـإنّ ابنتـي سـافرت منـذ الصـباح لزيـارة أحـدى صـواحبها, ولا أحسـبها راجعـة قبـل المسـاء , فهـل لـك أن تنـزل الحديقـة لنرتاض فيها قليلًا ؟** [المنفلوطي ,2012, 15]

فـالمتكلّم هنـا والـد ماجـدولين (مـولر) والمخاطـب (اسـتيفن) , ونجـد قاعـدة التعفّـف فـي قولـه (هـل لـك أن تنـزل) اسـتعمل أسـلوب الاسـتفهام غيـر المباشـر الخـارج لمعنـى الـدعوة للتنـزّه معـه مرافقتـه ليكـون أنيسًـا لـه فـي وحدتـه , فـالمتكلّم لـم يفـرض نفسـه علـى المخاطـب , إذ لـم يسـتعمل صيغة الأمر (الطلب المباشر).

2 _ قاعـدة التشـكّك :وهـي "لتجعـل المخاطـب يختـار بنفسـه " [عبـد الـرحمن , 1998, 241, ادواري , 2011 , 119]

أي لا تفـرض رأيـك واعتقـادك علـى المخاطـب بـل اجعـل لـه حريّـة الاختيـار وذلـك بـأن يتجنّـب المـتكلّم أسـاليب التقريـر والتأكيـد ويسـتعمل أسـاليب الاسـتفهام كمـا لـو كـان متشـكّكا فـي مقاصـده, ممّـا يتـرك للمخاطـب مجـالًا فـي اتخـاذ القـرارات كـأن يسـتعمل لفظـة(ربّما) أو (يمكـن)

و(يحتمل) و(يُعتقد) وغير ذلك من أساليب الاحتمال [عبد الرحمن , 1998, 241, ادواري , 2011 , 119]

ونجد في مؤلفات المنفلوطي ما يُطابق هذا المبدأ كقوله **:"قال :إنّ بجانب هذا النهر فتاةً مسكينةً تركتها ورائي تشكو البردَ , فهل أجدُ عندك جذوةَ نارٍ أعود بها إليها لتصطلي بها"** [المنفلوطي , 2012, 27]

فالمخاطب هنا لجأ إلى أسلوب غير مباشر (غرضه الالتماس) عن طريق الاستفهام؛ لمراعاة السياق فالمخاطَب أكبر منه سنًّا , وأيضًا لم يعرفه ,فلم تكن هناك علاقة تربطه به فكان الأولى استعمال اسلوب غير مباشر في الطلب .

وقوله **:"ليس الإحسانُ هو العطاءُ كما يظنّ عامة النّاس ,فالعطاءُ قد يكونُ نفاقًا ورياءً, وقد يكون أحبولةً ينصبها المعطي لاصطيادِ النفوسِ وامتلاكِ الأعناقِ, وقد يكونُ رأسَ مالٍ يتّجرُ فيه صاحبُه لِيبذُلَ فيه صاحبه قليلًا ويربحَ كثيرًا " [المنفلوطي ,2002, 389/1]**

هنا استعمل لفظة (قد يكون) أي للتوقع (محتمل) فلم يستعمل لفظة تأكيدية, ليترك مجالًا للمتلقّي في اتخاذ القرار وللتخفيف من حدّة الكلام , ومن المعلوم أنّ دخول قد على الفعل المضارع يفيد التوقّع **[المرادي ,1992. 256]**

والملاحظ هنا كرّر (قد يكون) (ثلاث مرات) لجذب ذهن المتلقّي وللتبيين أنّ الإحسان ليس فقط باعطاء المال؛لأنّه قد يكون نفاقاً ورياءً (اظهار خلاف مايبطن) أو لأجل الشهرة والجاه ,أو لأغراض أخرى , فالإحسان يعني مشاركة الآخرين بمشاعرهم والعطفِ عليهم .

وقوله **:"كُنّا نعتقدُ مثلكم أنّنا خيرٌ من آبائنا وأجدادنا وأوسع منهم علمًا وأقوى ادراكًا , وربّما اعتقدنا في الكثير منهم كما تعتقدون فينا اليوم أنّهم جاهلون أو مخرّفون أو متأخّرون أو جامدون "** [المنفلوطي , 2002 , 88/3]

نجد في هذا النصّ أسلوب التهذيب في استعمال لفظة (نعتقد) وكذلك (ربّما) وهما من أساليب الاحتمال, وفي هذا الحوار أراد النصح والارشاد للأبناء, فلم يأتِ بأسلوب الأمر بل قدّم النصيحة باسلوب الحوار (الموجّه من الشيوخ إلى الشبّان).

وقوله :**" <u>ولا أدري كيف</u> يستطيع الكاتب أنْ يكونَ كاتبًا عربيًا قبل أن يطّلع على أساليب العرب في أوصافهم ونعوتهم , ومدحهم وهجوهم ومحاوراتهم ومساجلاتهم , وقبل أن يعرف كيف يُعاتبون ويؤنبون ويعظون وينصحون ..."** [المنفلوطي ,2002, 2/ 217]

في هذا النصّ التزم المنفلوطي بقاعدة التشكك فلم يفرض نفسه على المتلقّي ولم يستعمل أسلوب التقرير بل استعمل أسلوب الاستفهام غير المباشر الخارج لمعنى التعجّب والمقصود نصح الكتّاب بالاطلاع على أساليب العرب في أوصافهم ونعوتهم ومدحهم وكيف يعاتبون ويستعطفون , وترغيبهم فيها من دون استراق شيء منها بدليل قوله في المقالة نفسها :

" ولاتحدّثنّك نفسك أنّي أحملك على مطالعة المنشئات العربية لأسوب تسترقه أو تركيب تختلسه " [المنفلوطي,2002 218/2]

3_ قاعدة التودّد:وهي "لتظهر الودّ للمخاطب " [عبد الرحمن, 1998, 242]

وهي ذلك باستعمال الأدوات والأساليب والصيغ التي تقوّي العلاقة بين طرفي الخطاب كضمير الخطاب , والاسم ,والكنية , واللقب وغير ذلك, والابتعاد عن الألفاظ التي ينفر منها المخاطب واستعمال العبارات التي تدل على الاحترام والتقدير والصداقة

ونجدها بصورة مطابقة في مؤلفات المنفلوطي كقوله **:"فاقتربت منه ووضعت يدها على كتفه وحنت عليه حنوّ الأمّ على رضيعها , وقالت له بتلك النغمة العذبة الجميلة التي قتلت بها أباه من قبل :نعم يا بُنَيَّ . إنَّ الخطب أعظمُ ممّا تحتمل , ولم يبقَ بين يديك إلّا أن تسلك تلك الطريق التي شرع أبوك في سلوكها قبل موته ثُمّ عجز عن الاستمرار فيها إلى نهايتها فخسرها وخسر حياته على أثرها"** [المنفلوطي ,2012, 68=69]

فالمتكلّم هنا (زوجة برانكومير) تخاطب قسطنطين فاستعملت في الخطاب لفظة (بني) من دون مناداته باسمه وذلك لأجل تقريب المسافة بينها وبين قسطنطين لاقناعه بخطّتها وللحصول على مبتغاها.

وقوله **:"ثُمّ تقدّم المسيو "دوفال" إلى ولده وقال له :أتغفر لي يا بُني ؟ قال نعم يا أبتاه ؛لأنّها غفرت لك ذنبك إليها"** [المنفلوطي ,2012, 134]

الحوار هنا قائم بين الأب(دوفال) وابنه (أرمان) فاستعمل الأب في الخطاب لفظة (يا بُني) ولم يناديه باسمه او لفظة (ولدي) وذلك للتودّد إليه وازالة أي غضب يعكّر علاقتهما , واستعمل الابن لفظة (أبتاه)في النداء لبعث الاطمئنان في نفس أبيه .

وقوله **:"قالت : ما أعظم شكري لك يا ابن عمّي ! وما أكبر شأن تلك النعمة التي أسديتها إليّ" [المنفلوطي , 2012, 52]**

الخطاب قائم بين (سيرانو) وبين ابنة عمّه (روكسان) واستعملت في خطابها لفظة (ابن عمّي) ولم تناديه باسمه للتودّد إليه وتقوية الصلة بينهما وتذكيره برابطة الدم التي تجمعهما معًا.

وقوله :**"فنظر إليه الحاكم قال له :ادنُ منّي يا <u>ولدي</u> , فدنا منه , فمسح بيده على رأسه , وقال له: إنّك لا تزال صغيرًا يا <u>بُني</u> فإذا بلغت مبلغ الرجال فهمت ضرورات الحياة وأحكامها أدركت مبلغ شقاء هؤلاء القوم الذين تُسمّونهم حُكّامًا, وعلمت أن أعظم ما يشقون به في حياتهم أنّهم ليسوا أحرارًا في إجراء العدالة بين الناس," [المنفلوطي ,2012, 80]**

الحوار قائم بين (الحاكم) وبين (بول) ,فمناداة الحاكم لبول بـ(ياولدي , ويا بني) للملاطفة , ولتحسين العلاقة بينهما .

وتستنتج (لاكوف) بأنَّ هناك علاقة بين مبدأي التعاون والتأدّب ؛ وذلك من ناحيتين : الأولى ناحية اتفاق الأخرى ناحية اختلاف , فتجسّد قاعدة (التعفّف) خصيصة الاتفاق وذلك من خلال انتاج الخطاب بصورة رسمية ممّا يقتضي وضوحه وذلك بانتاج العبارات القصيرة لتجنّب اهدار الوقت , أمّا الاختلاف فيتجسّد في قاعدتي التخيير والتودّد ؛وذلك

لأنّ إنتاج الخطاب وفق هاتين القاعديتين يتطلّب خرق لقواعد مبدأ التعاون الذي يتطلّب الوضوح والإيجاز)[اشهري2004, 102].

وممّا وجّه إلى هذا المبدأ من نقدٍ؛ أنّه قد اقتصر على الجانب التجريدي من عنصر التهذيب المقوّم للتخاطب , وأهمل الجانب العملي والاصلاحي منه [عبد الرحمن 1998, 224].

ثانيًا / مبدأ التواجه واعتبار العمل :

وهو المبدأ التداولي الثالث في العملية التخاطبية , إذ أوجده (براون)و(ليفنسن) في دراستهما المشتركة (الكليّات في الاستعمال اللغوي :ظاهرة التأدّب) [عبد الرحمن 1998, 242, ادواري,2011, 120]

وصيغته هي "لتصن وجه غيرك " [عبد الرحمن 1998, 242, ادواري,2011, 120]

ويقوم على مفهومين أساسيين :

الأوّل : مفهوم الوجه :ويقصد به "الذات التي يدعيها المرء لنفسه والتي يريد أن تتحدّد بها قيمته الاجتماعية" [عبد الرحمن ,1998, 242]

وهو على نوعين :

- وجه سلبي : ويتمثل في "رغبة الإنسان في ألّا يعترض الآخرون على أفعاله" [الشهري , 2004, 103]

- وجه ايجابي: ويتمثل في " رغبة كل واحد في أن تكون إرادته محترمة على الأقل من البعض (كذا) * الآخرين " [الشهري , 2004 103]

فغاية المخاطب في التخاطب هنا هي حفظ وجهه بحفظ وجه مخاطبه .

ومن الأمثلة على الوجه السلبي عند المنفلوطي قوله **:"عذرتكم لو أنّ هؤلاء الذين تريقون دماءهم كانوا ظالمين لكم في شأن من شؤون حياتكم , أو ذاهبين في معاشرتكم والكونِ معكم مذاهبَ سوءٍ تخافون مغبّتها وتخشون عاقبتها , أمّا والقومُ في ظلالكم والكونِ تحت أجنحتكم أضعف من أن يمدّوا إليكم يدَ سوءٍ, أو يبتدروكم ببادرة شرٍّ, فلا عذر لكم"** [المنفلوطي , 2002, 413/1]

فالمنفلوطي هنا رفض ما فعله المسلمون في هجومهم على المسيحيين وقتلهم , واعترض على فعلهم الذي لا يمتُّ إلى الاسلام بصلة , ودفع أي اعتراض يُوجّه إليه ؛ لأنّهم ضعفاء , ولم يبادروهم القتال , ولم يسببوا لهم أذًى ,فقتلهم باطل وجريمة لا تُغتفر .

وقوله :**"أيّها الأشراف! أيّها الغوغاء ! أيّها الرجال ! أيّتها النساء! لا <u>أريد</u> أن أرى على جسم هذا المسرح هذا الدمل القذر الخبيث ,فإن لم ينفجر من نفسه فجرته بهذا المبضع القاتل , <u>ولاأحبّ</u> أن يعترض أحد منكم إرادتي ,أو أخذت البريء بذنب المجرم , والجار بجنب الجار!"** [المنفلوطي ,1986 , 41]

المـــتكلّم (ســـيرانو) يخاطـــب الجمهـــور , فـــرفض أن يمثّـــل الممثّـــل (منفلـــوري) ورفـــض أن يعترضه أحد على ذلك وهددهم بمقاتلتهم إن اعترضوا سبيله.

أمّـــا الوجـــه الإيجـــابي فيتمثـــل فـــي قولـــه **" الصِّـــدْقُ جنَّـــةٌ حُفّـــتْ بالمكـــارهِ ,فـــإن كـــان للصـــادقِ فـــي جنّـــة الصـــدقِ أرَبٌ فليحمـــل فـــي ســـبيلها مـــا حملـــهُ الأنبيـــاءُ والمرســـلونَ والحكمـــاءُ والقـــائمون باصـــلاح المجتمـــع الإنســـاني ودعـــاةُ المطالـــبِ الدينيّـــة والسياســـيّة "** [المنفلـــوطي , 2002 , 285/1]

هنـــا نجـــد الوجـــه الايجـــابي فـــي هـــذا الـــنصّ بترغيـــب المخاطـــب بتحمّـــل المشـــقّة والمصـــاعب فـــي ســـبيل الحصـــول علـــى هدفـــه ومبتغـــاه , فطريـــق الحـــق لا يتحمّلـــه إلّا المجاهـــدون الصـــابرون , فـــالمنفلوطي هنـــا حفـــظ مـــاء وجـــه مخاطبـــه (الســـجين الـــذي يطلـــب نصـــيحته)وذلـــك بترغيبـــه بتحمّل الشقاء وأنّه لا بدّ أن يمتلك سعة صدر لتحمّل مصاعب اختياره .

وقولـــه :**"بـــين الجـــبن والتهـــوّر منزلـــة هـــي الشـــجاعة والإقـــدام , وبـــين البخـــل والإســـراف منزلـــة هـــي الكـــرم, وبـــين العفـــو والانتقـــام منزلـــة هـــي العقوبـــة , وبـــين العجـــز والجهـــل منزلـــة هـــي الحكمـــة , فلـــيكن مـــن أفضـــل مـــا تأخـــذ بـــه نفســـك التريّـــث والتثبّـــت عنـــد النظـــر فـــي الفـــرق بـــين مشـــتبه الفضـــائل والرذائـــل , واعلـــم أنّـــك لا تـــزال كريمًـــا حتّـــى تنفـــق مالـــك فـــي غيـــر موضـــعه فـــإذا أنت مسرف ,.."** [المنفلوطي , 2002 , 260-261]

الوجـــه الإيجـــابي فـــي هـــذا الـــنصّ يتمثّـــل فـــي اصـــدار أوامـــره للمتلقّـــي فـــي شـــكل نصـــائح وارشـــادات ؛لحفـــظ مـــاء وجهـــه ووجـــه مخاطبـــه ,فينصـــح المخاطـــب بالتريّـــث وعـــدم التســـرّع والتثبّـــت فـــي إدراك الفـــرق بـــين مشـــتبه الفضـــائل والرذائـــل والحـــرص علـــى الاعتـــدال لكـــي لا تـــزل قدمـــه فـــي الرذائـــل مـــن دون الشـــعور بـــذلك للفـــرق الـــدقيق بينهمـــا كمـــا هـــو الحـــال فـــي الكـــريم الـــذي إذا أنفـــق ماله في غير موضعه صار مسرفًا.

والثـــاني :مفهـــوم التهديـــد ويتمثـــل بـــالأقوال التـــي تهـــدّد الوجـــه تهديـــدًا ذاتيًـــا , وهـــي تفـــوق إرادات المســـتمع أو المـــتكلّم فـــي دفـــع الاعتـــراض أو جلـــب الاعتراف[عبـــد الـــرحمن , 1998, 243, ادواري , 2011, 120]

فأمّـــا المرســـل إليـــه (المســـتمع) فالأفعـــال التـــي تهـــدّد وجهـــه الـــدافع قـــد تكـــون الأفعـــال التـــي تتطلّـــب منـــه انجـــاز أفعـــال فـــي المســـتقبل كـــالأوامر والنصـــائح والتحـــذير والانـــذار والوعيـــد, وقـــد تكـــون الأفعال التي تتطلّب منه ردّة فعل ايجابية في المستقبل كالعرض والوعد .

أمّـــا الأفعـــال التـــي تهـــدّد وجهـــه الجالـــب فقـــد تكـــون الأفعـــال التـــي تعبّـــر عـــن عـــدم اهتمـــام المرســـل بمشـــاعره ورغباتـــه كأفعـــال النقـــد والســـخرية .[عبـــد الـــرحمن , 1998, 243, الشـــهري , 2004, 104]

أمّـــا مـــا يخـــصّ المرســـل فالأفعـــال التـــي تهـــدّد وجهـــه الـــدافع هـــي التعبيـــر عـــن الشـــكر وقبـــول شـــكر المرسل إليه .

والتـــي تهـــدّد وجهـــه الجالـــب هـــي الاعتـــذار والنـــدم والاقـــرار بالـــذنب. .[عبـــد الـــرحمن , 1998, 243, الشهري , 2004, 105]

وللتخفيف من أثر التهديد وضع "براون " و"ليفنسن " خمس خطّطٍ تتحقق بواسطة صيغ تعبيرية يختار منها المتكلّم ما يراه مناسبًا للمقام وهي كالآتي :[عبد الرحمن , 1998, 244, الشهري , 2004, 105, ادواري , 2011,120-121, ختام , 1437, 111-112]

1_ أن يمتنع المتكلّم عن إيراد القول المهدّد ,قد يكون لتجنّب الوقوع بالمخاطر أو الضرر , وذلك كقوله **:"كيف يكون موقفك يا سيدتي غدًا إن نفذ فيه هذا السهم من القضاء أمام هذا الأب الثاكل المسكين إذا جاءك يسأل عن دم ولده ؟ وكيف يكون آلام نفسك ولواعجها أمام مشهد بكائه وتفجعه؟"**[المنفلوطي , 2012, 118]

فهنا لم يأتِ بقول مهدّد بل استعمل صيغة مهذبة ابتدأها بأداة استفهام كيف , وقصده منها تنبيه المخاطب (مرغريت) على عواقب علاقتها بابنه وكيف ستنتهي بوجع وألم فذكّرها بذلك وحذّرها .

وقوله **:"لا تَبعْ أُمّتَك يا أبتِ بعرضٍ تافهٍ من أعراض الحياة , فالتاجُ الذي يتناوله صاحبُه من يدِ عدوّه ليسَ بتاجِ المُلكِ ؛ إنّما هو قلنسوة الإعدام , كيف يهنؤك ذلك المُلك وأنت ترى أمّتك المسكينة راسفة في قيود الذلّ والاستعباد تبكي وتصرخ ولامُنجِد ولا مُعين ,"** [االمنفلوطي , 2012, 69]

المتكلّم هنا (قسطنطين) والمخاطب والده (برانكومير) فاحترامًا لأبيه ومنزلته لم يهدّده بعد معرفته بخيانته , بل نصحه وحذره من عاقبة الأمر وما سيتبع قراره هذا من مساوئ لوطنه وما سيلحقهم من الذلّ والاستعباد .

2_أن يصرّح بالقول المهدّد من غير تعديل يخفّف من جانبه التهديدي , وذلك كقوله: **" ثُمّ اندفع إلى مكانِ الرابية مسرعًا فاعترضه أبوه ووقف في وجهه وقفة الصخرة العاتية في وجه الريح العاصف وقال له : لا آذن لك بالتقدّم خطوةً واحدةً ودون ما تريد الموت الزؤام !"** [المنفلوطي , 2012, 49]

المتكلّم هنا (برانكومير) والد قسطنطين صرّح بالتهديد تصريحًا مباشرًا من دون تعديل يخفّف حدّته (التهديد بالموت المؤكّد) إن تقدّم واشعل النار ووقف حائلًا بينه وبين ما يريد فعله .

وقوله :**"لاتمثّل أيّها الدبّ الهائل , ولا تنطق بحرفٍ واحد فإن فعلت ضربتك بعصاي هذه على وجهك ضربة لا تعرف من بعدها أي مكان أنفك منك ! . قد أمرتك وليس في العالم قوّة تستطيع أن تعترض أمري "** [المنفلوطي , 1986, 39]

المتكلّم (سيرانو) والمخاطب (منفلوري) فقد صرّح (سيرانو) بالتهديد تصريحًا مباشرًا من دون تعديل يخفّف حدّته بل زاده قوّة بكلمات السخرية من المخاطب بمناداته بالدبّ الهائل .

3_ أن يصرّح بالقول المهدّد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه (السلبي)الدافع كقوله: **"هل لك ياسيدي أن تحدّثني قليلًا عن نفسك "** [المنفلوطي ,2012, 105]

هنا استعمل في الطلب صيغة لطيفة وهي الاستفهام بـ(هل) .

4_أن يُصـرّح بـالقول المهـدّد مـع تعـديل يـدفع عـن المسـتمع الإضـرار بوجهـه (الايجـابي) الجالـب كقولـه:**" فهـل اسـتطيع أن أرجـوك يـا صـديقي بعـد الـذي كـان بينـي وبينـك أن تصـحبني الليلـة فـي وجهـي هـذا علّنـي احتـاج إلـى بعـض المعونـة فيمـا قـد يُعـرض لـي هنـاك مـن الشؤون؟ "** [المنفلوطي 2012, 39]

فهنـا لـم يكتـفِ المخاطـب بالطلـب بصـيغة مؤدبـة بـل أضـاف إلـى ذلـك صـيغة أخـرى ترغبـه فـي الفعـل وتزيـد مـن التـودّد إليـه وهـي لفظـة (أرجـوك) ومناداتـه بـ(يا صـديقي) ومـا أضـيف إلـى المنـادى يـاء المـتكلّم كـل ذلـك يزيـد فـي ترغيـب المخاطَـب فـي الانصـياع لأوامـره مـن دون إكراه .

5_أن يـؤدّي الفعـل بطريـق التعـريض , أي تاركًـا للمسـتمع حريّـة الاختيـار كقولـه :**" فمـن أراد أن يُعلّـمَ النّـاسَ مكـارمَ الأخـلاق فليُحـي ضـمائرهم وليِبـثَّ فـي نفوسـهم الشـعور بحـب الفضـيلة والنفـورِ مـن الرذيلـة بأيّـة وسـيلة شـاء , ومـن أي طريـقٍ أراد ؛فليسـت الفضـيلة طائفـةً مـن المحفوظـات تُحْشـى بهـا الأذهـان , بـل ملكـات تصـدر عنهـا آثارُهـا صـدور الشـعاع عن الكوكبِ والأريجِ عن الزهرِ" [المنفلوطي , 2002 , 203/3]**

فهنـا المخاطـب مخيّـر بـين أن يأخـذ بنصـيحته أو لا يأخـذ , بقصـد النصـح والارشـاد ,فيبـيّن لنـا أنّ مـن المهـم فـي تعلـيم مكـارم الأخـلاق التأكيـد علـى إحيـاء الضـمير والتقـرّب مـن النفـوس ومخاطبتهـا وبـث فيهـا الشـعور بحـب الفضـيلة وتـرك الرذيلـة , ولـيس فقـط الحـرص علـى تمكينهم من المادة العلمية وترسيخها في عقولهم كما يحدث الآن في المدارس التعليمية .

وممّـا وجّـه لهـذا المبـدأ مـن نقـدٍ أنّـه يجعـل التهديـد هـو السـمة المميّـزة للأقـوال , ويجعـل العمـل التهـذيبي مقصـورًا علـى التقليـل مـن هـذا التهديـد فخـصّ مجـال التهـذيب ببـذل الجهـد فـي التحـوّط مـن التهديـد مـن دون الاهتمـام بجانـب التقـرّب والتـودّد مـن المخاطـب وهـي مـن المقاصـد الضـرورية للتواصـل الإنسـاني, أي أنّـه قصـر عـن الاهتمـام والعنايـة بالبعـد التقرّبـي مـن العمل التهذيبي .[عبد الرحمن ,1998, 245-246]

ثالثًا / مبدأ التأدّب الأقصى :

هـو المبـدأ التـداولي الرابـع فـي العمليـة التخاطبيـة , صـاغه (جـورج ليـتش)(leech.G), وعـدّه مكمّلًا ومتمّمًا لمبدأ التعاون [عبد الرحمن , 1998, 246]

وجعله في صورتين [عبد الرحمن , 1998, 246, ادواري ,2011, 121] :

- إحداهما :سلبية :هي قلّل من الكلام غير المهذّب .
- والأخرى :ايجابية :هي أكثر من الكلام المهذّب .

وتتفـرّع مـن هـاتين الصـورتين قواعـد خطابيـة تقـوم علـى أسـاس قـانون الـربح والخسـارة ,أي أنّ المرسـل لابـدّ أن يراعـي مشـاعر المرسـل إليـه ويسـعى إلـى كسـبه [الشـهري ,2004, 112]

ويـرى (ليـتش) أنّ هـذه القواعـد بمثابـة خطّـطٍ تبعـد كـلّ مـا يعيـق أو يـؤدّي إلـى النـزاع والمقاطعـة , بحيـث يقـدّم مبـدأ التـأدّب الأقصـى علـى مبـدأ التعـاون فـي حالـة حـدوثِ تعـارض بينهما,لأنّـه أحفـظ للصـلة الاجتماعيـة التـي هـي شـرط التعـاون , ويتّضـح ذلـك الأمـر فـي الأوامـر غيـر المصـرّح بهـا التـي تـأتي فـي تعـابير مطولـة تخـل بقواعـد التعـاون التـي هـي الايجـاز والوضـوح

International Journal of Aquatic Science
ISSN: 2008-8019
Vol 13, Issue 01, 2022

, ولكنّهـا علـى طولهـا تحـافظ علـى التعـاون وتواصـله, لأن كثيـرا مـا يكـون التعبيـر غيـر المصـرّح بـه والمطـوّل أوفـى بغـرض المـتكلّم فـي نهـوض المخاطـب إلـى إنجـاز الأوامـر [عبـد الرحمن , 1998 , 247 , ادواري , 2011, 122]

ويمكن توضيح هذه القواعد بالمخطّط الآتي :

مبدأ التأدّب الأقصى

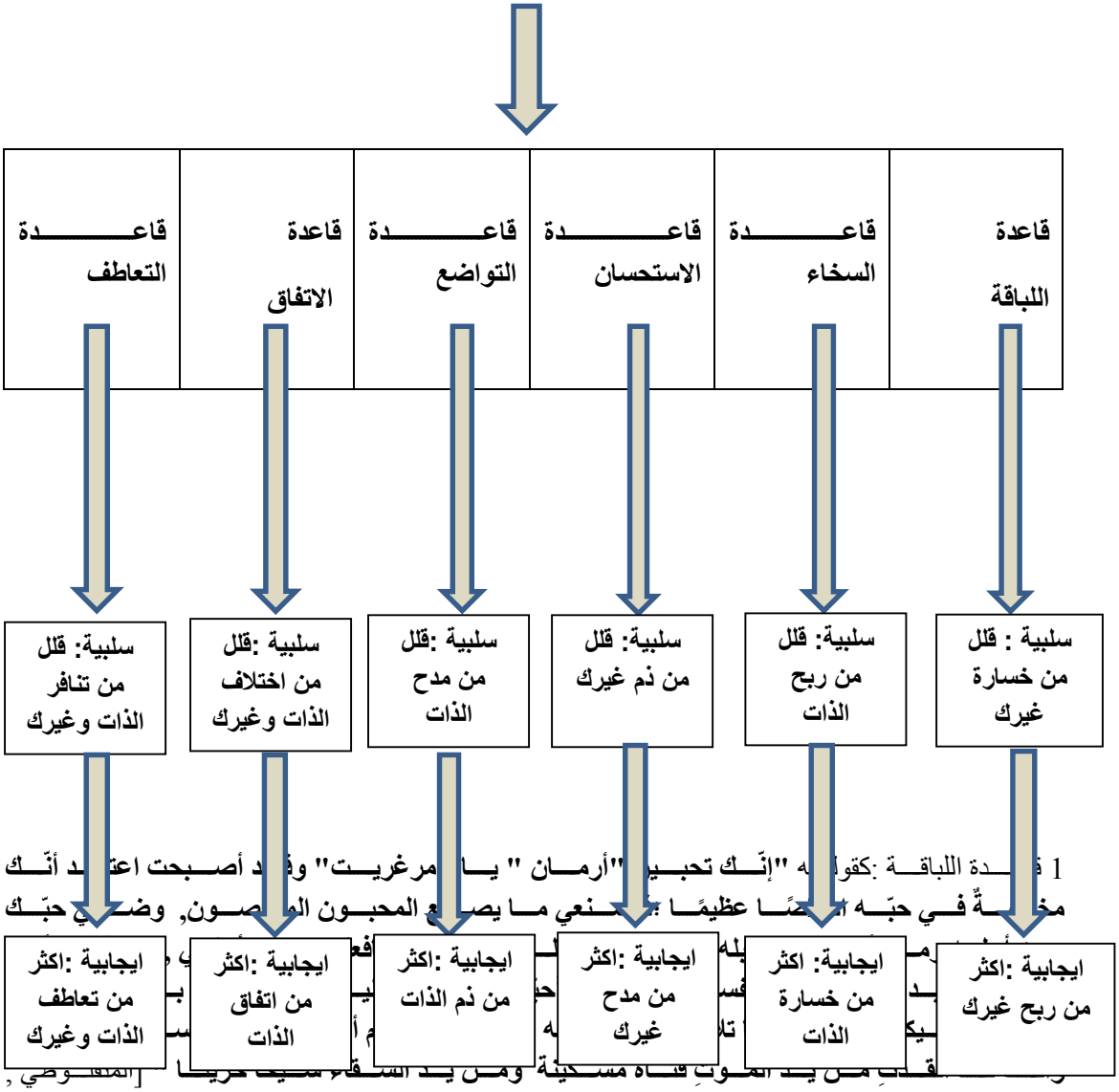

1 قـ ـدة اللباقـة :كقولـ ـه "إنّـك تحبـ ـ "أرمـان " يـا مرغريـت" وقـ ـد أصـبحت اعتقـ ـد أنّـك مخـ ـةٌ فـي حبّـه ـًا عظيمًـا ـنعي مـا يصـ ـع المحبـون المخلصـون, وضحـ ـي حبّـك

[المنفلوطي , 2012, 120-121]

فـي هـذا الـنصّ نجـد قاعـدة اللباقـة التـي هـي تقليـل المـتكلّم مـن خسـارة غيـره وهـو نتيجـه بالسـعي لـربحهم , فبـدأ المـتكلّم هنـا كلامـه بأسـلوب الإخبـار المؤكّـد (إنّـك تحبـين) وتلـك اسـتراتيجية اقناعيـة ثُـمّ انتقـل إلـى أسـلوب الأمـر (فاصـنعي ,ضـحّي ,افعلـي) ثُـمّ عـاد إلـى أسـلوب الخبـر التأكيـدي وذلـك لاقناعهـا وكسـب عطفهـا (لقـد قلـتِ , وانـك) فـي التخلـي عـن ابنـه وفعـلًا نجـح في اقناعها وكسب ودّها واستطاع أن يصل لغايته وهي المحافظة على اسرته من الضياع .

2 قاعـدة السـخاء : ونجـدها متمثّلـة فـي خطـاب المنفلـوطي فـي حـث الجنـود علـى الجهـاد **:"إنّهـم يطلبـون الحيـاة وأنـتم تطلبـون المـوت ويطلبـون القـوتَ وتطلبـون الشـرفَ ويطلبـون غنيمـةً يملـؤون بهـا فـراغ بطـونهم وتطلبـون جنّـةً عرضُـها السـمواتُ والأرضُ , فـلا تجزعـوا مـن لقـائهم , فـالموتُ لا يكـون مـرَّ المـذاق فـي أفـواه المـؤمنينَ "** [المنفلـوطي , 2002 , 222/2•]

فبـثّ فـيهم روح العزيمـة علـى القتـال والتقليـل مـن ربـح الـذات وتصـغير ملـذات الـدنيا وشـهواتها في نفوسهم وبالمقابل تعظيم جهادهم وما سيؤولون إليه من المصير بالفوز بجنّة الخلد.

3_ قاعـدة الاستحسـان :وتتمثّـل تلـك القاعـدة فـي سـياق المـدح والـذمّ ,كقولـه **"قـال: إن كنـت تريـد مـن النبـل شـيئًا غيـر الشـرائط والأوسـمة والـذهب والفضّـة والحريـر والـديباج , فهـو أنبـل النـبلاء واشـرفهم ؛لأنّـه جنـدي شـجاع , جـريء فـي مواقفـه ومشـاهده , صـادق فـي قولـه وفعلـه لا يحـابي ولا يتجامـل , ولا يسـتذلل ولا يتزلّـف , ولا يخضـع فـي شـأن مـن شـؤون حياتـه إلّا للحـق الـذي يعبـده ويـدين لـه , ولـو عرفتـه يـا سـيدي لعرفـت أفضـل النـاس خُلُقًـا وأشـرفهم نفسًـا وأطيـبهم قلبًـا وأشـدّهم عطفًـا علـى البؤسـاء والمنكـوبين وهـو فـوق ذلـك شاعرٌ مجيد وعالم فاضل وناقد بارع"** [المنفلوطي , 2012, 21]

نجـد فـي هـذا الـنصّ قاعـدة الاستحسـان وذلـك بالاكثـار مـن مـدح غيـره ,فـالمتكلّم هنـا (راجنـو) صديق سيرانو والممدوح هو سيرانو.

أمّـا الاقـلال مـن ذمّ غيـره كقـول المنفلـوطي فـي ذمّ السياسـيين :**" هـل السياسـيُّ إلّا رجُـلٌ قـد عرفـت أمّتُـهُ أنّـه لا يوجـد بـين أفرادِهـا مـن هـو أقسـى منـه قلبًـا , وأعظـمُ كيـدًا ولا أكثـرُ دهـاءً ومكـرًا؛ فنصّـبته للقضـاء علـى الأمّـمِ الضـعيفةِ وسـلبها مـا وهبهـا اللهُ مـن الحسـناتِ,وأجزلَ لها من الخيرات؟"** [المنفلوطي , 2002, 87/2]

فـي هـذا الـنص المنفلـوطي ذمّ سياسـيّ عصـره إلّا أنّـه خفّـف مـن ذلـك الـذمّ بجعلـه عامًّـا لـم يخـصّ سياسـيًا علـى وجـه الخصـوص فوصـفهم بقسـوة القلـوب , وكثـرة المكـر والخـداع , وسـلب حـقّ الضعفاءِ.

4_ قاعدة التواضع :

ونجـد المنفلـوطي يميـل إلـى التواضـع , ويـدعو لـه كقولـه **:" فمـا أضـعفَ هـذا الإنسـانَ! ومـا أضـلّ عقلـه فـي اعتـزازه بقوّتـه واعتـداده بنفسـه واعتقـاده أنّ فـي يـده زمـام الكائنـات يصـرّفها كيـف يشـاء, ويسـيّرها كمـا يريـد , وأنّـه لـو أراد أن يـذهبَ بنظـامِ هـذا الوجـود ويـأتي لـه بنظـامٍ جديـد لمـا كـان بينـه وبـين ذلـك إلا أن يرسـلَ أشـعةَ عقلـهِ دفعـةً واحـدةً ويشـحذ سـيف ذكائـهِ ويبتعـث عزيمتَـهُ ويقتـدحُ فكرتَـهُ . يـزعم ذلـك وهـو يعلـمُ أنّـه أضـعفُ مـن أن يحتـالَ لنفسـه فـي مدافعـة أصـغر الحيـوان جسـمًا وعقـلًا, وأدناهـا قيمـةً وشـأنًا "** [المنفلـوطي , 2002, 424/1]

فيبـدأ الـنصّ بتعجبـه مـن الـذين يعظمـون مـن شـأنهم ويعتـدون بقـوتهم ويعتقـدون أنّـه بيـدهم زمـام الأمـور, فيـذكرهم بـأنهم أضـعف مـن ذلـك ويـأتي بحجّـة مـن الواقـع وهـي أنّهـم يضـعفون أمـام أصغر مخلوق جسمًا وعقلًا وهي البعوض .

ونجـده فـي مقالـةٍ يخـالف تلـك القاعـدة فـيعظّم مـن نفسـه ويكثـر مـن مـدحها بعـد ذمّـه السياسـيين إذ يقـول:**"هـؤلاء هـم السياسـيّون, وهـذه هـي أخلاقُهُـم وغرائـزهم, فهـل تظـنُّ يـا سـيدي أنَّ رجـلًا**

نصبَ نفسهُ لخدمةِ الحقيقةِ ومناصرتها على الباطل واستنقاذ الفضيلة , من مخالبِ الرذيلةِ ووقف قلمه على تهذيبِ النفوسِ وترقية الأخلاق وملأ في رسائله فضاء الأرض والسماء بكاءً على الضعفاء والمساكين , والمظلومين والمضطهدين , يستطيعُ أن يكون سياسيًا أو مُحبًّا للسياسيين ؟؟"[المنفلوطي ,2002, 88/2]

5_قاعدة الاتفاق :

فالمنفلوطي بأسلوبه البسيط الواضح دائمًا يحاول تقريب وجهات النظر وينبذ الاختلاف ونجده في مقالةٍ يدعو أبناء وطنه الى الوحدة والابتعاد عن كلّ ما يؤدّي إلى زيادة الهوة والتفرقة فيما بينهم حتى عدّ (التفرقة) التي رصدها في عصره كربة من الكرب التي ألمّت به وزادت من شقائه وذلك قوله :**"أيُّها المِصريّون! إنّي لأكتب إليكم كلمتي هذه وليس على وجهِ الأرضِ ولا تحتَ أديم السماءِ أمّةٌ أحبَّ إليَّ منكم وحسبكم من ذلك الحبّ أنّ أسمع بالكارثة تحلّ بكم والنازلة تنال منكم فيشغلني من أمر نفسي, وتجود عيني في سبيلكم على ما بها من جُمود وشحّ بما لاتجود بمثله في أحرجِ مواقفها وأصعب مواطنها. بهذا القلم الذي يستمد مداده من هذا القلب المخلص إليكم أدعوكم إلى الاتحاد والائتلاف وأن تتبايعوا بين يدي الله والوطن على الحبّ والودّ والصفاءِ والاخلاص"** [المنفلوطي , 2002, 115/1-116]

فيبدأ كلامه هنا بأسلوب النداء ؛لتنبيههم وتركيز أذهانهم بأهميّة الأمر الذي يتحدّث عنه , ثُمَّ يحاول اقناعهم وبأسلوب التقرّب والتودّد إليهم وتذكيرهم أنّهم أحبّ إليه من كلّ شيء ويرى اختلافهم كارثة وكربة ألمّت به فشغلته عن التفكير بنفسه ونغصّت عليه لذة العيش فيدعوهم إلى الاتفاق والتبايع على الودّ والاخلاص والصفاء .

6_قاعدة التعاطف : تجد هذه القاعدة متمثّلة في أسلوبه فهو دائمًا يدعو إلى التعاطف مع الآخرين ومساعدتهم وتقديم يد العون لهم كقوله **"أيُّها الرجلُ السعيدُ كُنْ رحيمًا , أشعِر قلبك الرحمةَ , ليكنْ قلبك الرحمة بعينها . ستقول: إنّي غير سعيد لأنّ بين جنبيّ قلبًا يُلمّ به من الهمّ ما يلمّ بغيره من القلوب . أجل فليكن ذلك كذلك , ولكن أطعم الجائع واكس العاري وعزّ المحزون وفرّج كربة المكروب ؛يكن لك من هذا المجتمع البائس خيرُ عزاءٍ يعزيك عن همومك وأحزانك "** [المنفلوطي , 2002 /1 238]

فهنا يدعو المخاطب إلى التعاطف مع الآخرين وتقديم المساعدة لهم بما يستطيع ويتلاءم مع قدرته , فيطعم الجائع الفقير ويعطي المسكين ويفرّج عن المكروب ويشارك الآخرين في أحزانهم وأفراحهم .

وقوله: **"ليس لصاحبِ وطنٍ من الأوطان أو صاحبِ دينٍ من الأديان أن يقولَ لغيره ممن يسكن وطنًا غير وطنه أو يدين بدينٍ غيرَ دينه :أنا غيرُك, فيجب أن أكونَ عدوّك ,لأنّ الإنسانيّة وحدةٌ لا تكثُّر فيها ولا غَيْريّة, ولأنّ هذه الفروق التي توجد بين النّاس في آرائهم ومذاهبهم, ومواطنِ إقامتِهم وألوانِ أجسادهم , وأطوالهم وأعراضهم ,إنّما هي اعتباراتٌ ومصطلحاتٌ, أو مصادقاتٌ واتفاقاتٌ تعرضُ لِجوهرِ الإنسانيّة بعد تكوينه, " [المنفلوطي , 2002, 228/2]**

فهنا يدعو إلى وحدة الجامعة الإنسانية وعدم التفرقة على أساس الاختلاف فيما بينهم في دين أو قومية أو مذهب أو غير ذلك فكلّها عوارض وأنّما الأصل واحد لا يتغيّر هي الإنسانيّة فيدعو إلى التعاطف والودّ والتقارب وأن اختلفوا في أجناسهم.

وممّا وُجّه لهذا المبدأ من نقدٍ ,أنّه وإن كان هدفه التقرّب لكنّه تقرّب يميل إلى التظاهر والنزعة إلى الغرضية بما يحتويه من خاصيّة الربح والخسارة , التي تعني أنّ الأقوال والأفعال التي يأتي بها المتكلّم والمخاطب تقدّر بحسب الفائدة التي يريدها, وهو عمل يجعل الجانب التهذيبي للخطاب أقرب إلى التعامل التجاري منه إلى التعامل الأخلاقي [عبد الرحمن , 1998, 248]

رابعًا / مبدأ التصديق واعتبار الصدق والاخلاص :

هو المبدأ التداولي الخامس في عملية التخاطب , صاغه الدكتور طه عبد الرحمن , وصيغته هي كالآتي " لا تقل لغيرك قولًا لا يصدّقه فعلك " [عبد الرحمن , 1998, 249]

ويقوم هذا المبدأ على عنصرين[عبد الرحمن , 1998, 249, ادواري , 2011, 123]:

الأوّل : نقل القول (الجانب التبليغي)

الثاني : تطبيق القول (الجانب التهذيبي)

وتتفرّع من مبدأ التصديق قواعدَ للتخاطب (الجانب التبليغي)هي [عبد الرحمن , 1998, 250, ادواري , 2011, 123]:

1_ ينبغي للكلام أن يكون لداعٍ يدعو إليه

2_ ينبغي أن يأتي المتكلّم به في موضعه .

3_ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته

4_ يجب أن يتخيّر اللفظ الذي به يتكلّم .

ويذكر الدكتور طه عبد الرحمن أنّ هذه القواعد جامعة لمبدأ التعاون والقواعد المتفرّعة منه إلّا قاعدة واحدة وهي قاعدة (الكيف) أو (قاعدة الصدق) ويتضح هذا بصورة جلية من خلال المقابلة الآتية [عبد الرحمن , 1998, 249-250]:

- تقوم القاعدة الأولى مقام مبدأ التعاون فكلٌّ منهما يشترط تحديد هدف معيّن للمخاطبة وإذا خلت المخاطبة من الهدف المخصوص كانت هذيانًا عند الماوردي
- تقوم القاعدة الثانية مقام قاعدة (العلاقة) التي تقضي لكل مقام مقال يناسبه .
- تقوم القاعدة الثالثة مقام قاعدة الكم التي تقضي الاكتفاء بما هو ضروري في الخبر فإذا خرج الكلام عن ذلك بالتقصير سمّي (حصرًا) عند الماوردي , وإذا خرج الكلام بالتكثير سُمّي عنده بالتكثير ..
- تقوم القاعدة الرابعة مقام قاعدة (الجهة) إذ إنهّا تشترط مراعاة صحّة المعاني وفصاحة الألفاظ واتباع أساليب الوضوح فإذا خرج الكلام عن هذه القواعد كان الكلام مستغلق اللفظ مختل المعنى .

أمّـــا مـــا يخـــصّ الجانـــب التهـــذيبي فقواعـــده ثلاثـــة:[عبـــد الـــرحمن , 1998, 250, ادواري ,2011, 123]

1_قاعدة القصد : أي لا بدّ أن يكون الخطاب لمقصد معيّن تريد تحقيقه

2_ قاعدة الصدق : أي أن تكونَ صادقًا فيما تقله لغيرك .

3_ الاخلاص : أي أن يكون تودك لغيرك متجرّدًا من المصالح الذاتيّة

وهذه القواعد متضمّنة في مبدأ التأدّب ومبدأ التواجه[ادواري , 2011, 123]

وممّـــا يُســـتخلص بعـــد عـــرض هـــذه المبـــادئ أنّ الخطـــاب نظـــام أو بنيـــة تفاعليـــة , تقـــوم علـــى نـــوعين مـــن المبـــادئ :الأوّل تبليغـــي والآخـــر تهـــذيبي , وهـــذه المبـــادئ تتفاضـــل فيمـــا بينهـــا تبعًـــا للغايـــة والوظيفـــة المتوخـــاة مـــن الخطـــاب , فكـــلٌّ منهـــا يصـــلح لحـــوار مـــا , ولا يصـــلح غيـــره لـــه :[عبد الرحمن , 1998, 253, ادواري ,2011, 123]

المصادر:

1. ادواري ,عياشـــي ,2011,الاســـتلزام الحـــواري فـــي التـــداول اللســـاني مـــن الـــوعي بالخصوصـــيات النوعيـــة للظـــاهرة إلـــى وضـــع القـــوانين الضـــابطة لهـــا , ط1 , منشـــورات الاختلاف.
2. ختام ,جواد , 1437التداولية أصولها واتجاهاتها, ط1 ,دار كنوز.
3. الخليفـــة , هشـــام عبـــد الله , 2013, نظريـــة التلـــويح الحـــواري بـــين علـــم اللغـــة الحـــديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والاسلامي , ط1 , مكتبة لبنان.
4. الشـــهري , عبـــد الهـــادي بـــن ظـــافر , 2004 , اســـتراتيجيات الخطـــاب مقاربـــة لغويـــة تداولية , , ط1 , دار الكتاب الجديد المتحدة .
5. صحراوي , مسعود , 2005, التداولية عند العلماء العرب , دار الطليعة .
6. عبـــد الـــرحمن , طـــه , 1998, اللســـان والميـــزان أو التكـــوثر العقلـــي , ط1 ,المركـــز الثقافي .
7. عكاشـــة , محمـــود , 2012, النظريـــة البراجماتيـــة اللســـانية (التداوليـــة) دراســـة المفـــاهيم والنشأة والمبادئ , ط1, مكتبة الآداب .
8. المتوكـــل , أحمـــد , 1984, اقتراحـــات مـــن الفكـــر اللغـــوي القـــديم لوصـــف ظـــاهرة الاســـتلزام الخطـــابي , هـــذا البحـــث ضـــمن كتـــاب البحـــث اللســـاني والســـيميائي , المملكـــة المغربيـــة جامعـــة محمـــد الخـــامس , ط1 , منشـــورات كليـــة الآداب والعلـــوم الإنســـانية بالرباط.
9. المتوكّـــل , أحمـــد , 2010 , اللســـانيات الوظيفيـــة مـــدخل نظـــري , ط2 , دار الكتـــاب الجديد المتحدة.
10. المـــرادي , الحســـن بـــن قاســـم(749) ,1992, الجنـــى الـــداني فـــي حـــروف المعـــاني , ,ط1 ,دار الكتب العلمية.
11. المنفلوطي , 2012, العبرات , ط1مؤسسة هنداوي .
12. المنفلوطي , 2012, الفضيلة ,, ط1مؤسسة هنداوي .
13. المنفلوطي , 2012, في سبيل التاج , ط1 , مؤسسة هنداوي .

14. المنفلـــوطي , مصـــطفى لطفـــي , 1986, الشـــاعر أو ســـيرانودي برجـــراك , ط1 , دار الينابيع .
15. المنفلوطي ,2002 , النظرات , ط1, دار ابن حزم .
16. موشـــلار , جـــاك , وآن روبـــول ,, ترجمـــةد. ســـيف الـــدين دغفـــوس ود. محمـــد الشـــيباني , 2003, التداولية اليوم علم جديد في التواصل , ط1 , دار الطليعة .
17. النجـــار , ناديـــة رمضـــان , 2013, الإتجـــاه التـــداولي والـــوظيفي فـــي الـــدرس اللغـــوي , ط1,كلية الآداب و جامعة الحلوان .
18. نحلـــة , محمـــود أحمـــد , 2002, آفـــاق جديـــدة فـــي البحـــث اللغـــوي المعاصـــر , دار المعرفة الجديدة .